ثقافة+

أصر الممثل الهندي هريثيك روشان على استكمال مشاهد تصوير فيلمه «موهينجو دارو» رغم إصابته في كتفه، ضاربا عرض الحائط بنصيحة طبيبه بوجوب الراحة.

استطاع جاستن بيبر الحصول على لقب مجلة «فوربس» الأميركية للمشاهير الأعلى دخلا، حيث جمع 80 مليون جنيه إسترليني من يونيو 2013 إلى يونيو 2014.

تستعد بيرين سآت لدخول مغامرة سينمائية جديدة، تجسد فيها دور الأم، حيث لم تجسد هذه الشخصية في أي من أعمالها السابقة سواء الدرامية أو السينمائية.

عمال وحرفيون أفارقة يعزفون بيتهوفن في أسواق الصفيح درءا للفقر والجوع

● فرقة من العامة تمارس أكثر الفنون نخبوية ● كيمبانجو أوركسترا تعزف بعيدا عن النوتات الصقيلة

مجرد حاجز من الصفيح الأزرق الرث يفصل أحد شوارع مدينة كينشاسا حيث تتسلل مياه المجاري إلى البيوت، عن جوسيفين موبنجو وهي تتمرن على العزف على آلة التشيلو خمسة أيام في الأسبوع؛ تصحو في الرابعة والنصف صباحا وتقف على قدميها يوما بأكمله لتبيع العجة في السوق. ومع مجيء المساء تنطلق في رحلة تستغرق عدة ساعات، وإذا افتقدت أجرة الحافلة، فإنها تسير أميالا على قدميها، كي تعزف مع أوركسترا كيمبانجو السيمفوني، أول أوركسترا كامل من السود في العالم، والأوركسترا الوحيد المقيم في أفريقيا الوسطى.

الفرقة الكونغولية تعتبر أن الغناء ما هو إلا صلاة مرتين

هالة صلاح الدين

❑ **لندن** - انس كل ما تناهى إليك عن معهد الكونسرفتوار ونُوَته المصقولة وخريجيه بأناقتهم وتعليمهم المنهجي. فهذا الأوركسترا يضمّ من بين أعضائه ناتالي؛ عازفة فلوت وأم وحيدة تكسو صبيها الصغير وتدفع الإيجار بمشقة ما بعدها مشقة، تقول: "لا تعني معيشتنا في الكونغو أن نستسلم للقذارة".

بابي عازف بوق وميكانيكي، جوزيف عازف كمان وكهربائي، وكل الأوركسترا حرفيون أو عاملون بالأجرة. يعزفون سيمفونية بيتهوفن التاسعة على حين يتبادلون الخبرات لدرء الجوع والمرض عن أولادهم. لا عجب أنهم حين وفدوا إلى بريطانيا مؤخرا، لم يتمالكوا النبس بتعليقات من قبيل: "لم نبصر لندن إلا في أفلام فان دام، انظر إلى كل هؤلاء الناس الذين يأكلون في الهواء الطلق".

كان قائد الأوركسترا أرمان دانجيندا قد اختار اسم جده الزعيم المسيحي سيمون كيمبانجو ليكون اسم فرقته: "كان جدي يقول: إن الغناء ما هو إلا صلاة مرتين".

لا تعدم موسيقاهم إيقاعات أفريقية غنية بينما تغني الجوقة باللغتين اللينغالا والكيكونغو. يستنكر دانجيندا أن عزف موسيقى "المستعمر" انتقاص من شأن تراث الكونغو: "كل ما نتعلمه من الموسيقى الكلاسيكية أتاح لنا إثراء موسيقانا وتخليدها من خلال كتابتها".

ينظر العديد من أهالي كينشاسا إلى دانجيندا نظرتهم إلى إله حي. ذاع صيت جده واعظا وشافيا من الأمراض، وبثت عظاته الفخر والإيمان بالنفس في نفوس أهالي المدينة وفي الوقت ذاته أوقعت الخوف في المستعمر البلجيكي، فرماه المحتل ثلاثة عقود من عمره في السجن بتهمة التحريض على العصيان. نبس سيمون كيمبانجو يوما بما يحققه حفيده اليوم: "سوف يصير الرجل الأسود أبيض، والرجل الأبيض أسود".

قد تظن للوهلة الأولى أن هذا الأوركسترا يشتمل على ثلة من الهواة. إن كان القصد أنهم يهوون الموسيقى؛ فهذا عن حق، وإن كان القصد أنهم لا يضاهون المحترفين؛ فهو قول باطل. نجدهم يماثلون العسكر في التزامهم، تعلو أصواتهم الشجية قوية متناغمة كمن درسوا الألحان سنوات وسنوات.

ومثلما بات أعضاء الأوركسترا خبراء في "فن" البقاء على قيد الحياة، تجلت الأوركسترا نفسها نموذجا ملحميا على الإصرار على المستحيل. كانت البداية حين خسر دانجيندا وظيفته كطيار وجنّد حفنة من منشدي كنيسة والده للتمرن على بعض آلات الكمان.

لم يُعرف عن دانجيندا وقتذاك اهتماما بالموسيقى الكلاسيكية، فما كان إلا هاويا لموسيقى الريغي. علم أعضاء الأوركسترا أنفسهم كيفية العزف على آلة التشيلو، كتبوا مئات من النوت الموسيقية بأياديهم، فكوا ألغاز بعض الألحان بالإنصات إليها ساعات طويلة، رقعوا حوامل النوت من قطع قديمة من الخشب، خاطوا ملابس العروض بماكيناتهم الصدئة.

استعاروا آلاتهم أو صنعوا أوتار الكمان من أسلاك العَجل. ولا يزالون يصنعونها بأيديهم في واحدة من أفقر المناطق في العالم. يتمرّن أحدهم لمدة 15 دقيقة ثم يترك الآلة لغيره كي يتمرن عليها لمدة 15 دقيقة في أحد المخازن، حيث تنقطع الكهرباء تكرارا. ولو تمرنوا في العراء، لعانوا الغبار العاتي وأدخنة وسائل النقل السامة.

استغرق العازفون أمدا طويلا في تعلّم العزف، إلا أن أصوات الجوقة منذ اللحظة الأولى تعالت مهيبة لا تشوبها شائبة.

وبعد عشرة أشهر من التأسيس أقاموا أول عروضهم ليمارسوا بعدها أكثر الفنون نخبوية وأشدّها تعاليا. وقد ظلوا سرّ الكونغو المصون إلى أن أنتج الألمانيان كلاوس فيشمان ومارتن بار فيلما وثائقيا عنهم عام 2010.

وهكذا صار دانجيندا العاجز في بداية مشواره عن قراءة النوتة الموسيقية عضوا فخريا في الجمعية الموسيقية الملكية البريطانية، مكانة تبوأها من هم في قامة الإيطالي روسيني والألماني فاغنر. عشرون عاما كاملة تفصل بين العزف أمام حشد من الأطفال الحفاة بكينشاسا، إلى العزف لأول مرة مع أوركسترا هاليه بمانشستر وأوركسترا الشباب القومي بلندن أمام صفوف من البدل السوداء الرسمية.

وفي خلال تلك السنوات لم تتبدل روح الأوركسترا أو تنكسر. لم يتغير أيضا وضعهم المالي كثيرا، حين قدموا إلى مانشستر، قابلهم طباخ محلي ليعرض عليهم آلات موسيقية أنقذها يوما من أحد الحرائق، فأخذوها شاكرين!

وعلى مسرح بريدجووتر هوول بمانشستر تألقوا تألق المحترفين، التمعت بَشَراتهم التماع الأبنوس، عزفوا بآلاتهم أوديسة أفريقية منتشية، أنشدوا ترانيم الكونغو فعبق الجو بروح أفريقية خالصة. عزفوا كذلك سيمفونيات عالمية خالدة فأبهروا وأمتعوا.

في مدينة فوضوية بائسة مثل كينشاسا، مزقتها الحروب ونال منها الفساد، من العسير تخيّل أناس يستمعون إلى موسيقى هاندل في شوارعها، فما بالك بأوركسترا سيمفوني كامل العدد. أوركسترا معجزة، مثال مذهل على الانضباط وطموح الموهبة، يثبت ما لسنا في حاجة إلى إثباته، ألا وهو أن الموسيقى إعلان كوني يتخطى بصلابته وإنسانيته العرق ويتحدّى الأنماط المقولبة.

> ◄ لم يعرف عن دانجيندا وقتذاك اهتماما بالموسيقى الكلاسيكية، فما كان إلا هاويا لموسيقى الريغي

ثقافة المكر والإنكار

فاروق يوسف

❑ لم يعش الرسام المغربي أحمد الشرقاوي سوى ثلاث وثلاثين سنة. حياة قصيرة انتقل أثناءها من البادية إلى باريس، ليكتشف أن سحر العلامات التي رآها في طفولته، هو واحد من أعظم الدوافع الجمالية التي تصنع الفن الجديد.

وإذا ما كان قد اكتشف في باريس رسوم بول كليه، فإن تلك الرسوم قد قادته إلى الينابيع البصرية التي جلس أمامها كليه نفسه مسحورا ذات مرة.

حين رأيت رسومه أول مرة في مركز جورج بومبيدو، خُيّل إليّ أن الرسام المولود عام 1934 لا يزال حيا، وأنه لا يزال يراقب تحولات لوحاته التي لم تجف أصباغها بعد، كانت رسومه حية، مثل وشم ساخن على جسد راقص.

شيء عظيم أن الشرقاوي لا يزال حيا، صحيح أنه قد تعلم من الذاكرة الجمعية لشعبه الشيء الكثير، غير أن ما يصحّ أكثر أنه فتح تلك الذاكرة على فضاء كوني لا نهاية له، لقد أنتج رسوما تسمو بالعادات اليومية إلى مرحلة السحر الذي تقدسه الأرواح الهائمة. كان شعبيا في طريقة ائتلافه ونخبويا في طريقة اختلافه، وهو ما مكنه من التفريق بين النظرة الغربية إلى فنوننا باعتبارها فنونا تطبيقية، وبين النظرة الجمالية المطلقة التي تضع تلك الفنون في إطارها التاريخي.

لم يخف الشرقاوي ميله الغريزي إلى استلهام مفردات جمال استطاع أن يلهم شعبه خيالا شقيا، وهو الخيال الذي ألهم لديه قوة التماهي مع الرموز والعلامات الشعبية التي لا يدرك عمق مغزاها الغرباء.

كانت هناك لغة سرية حاول الشرقاوي أن يكشف عنها بصريا، هي لغته الشخصية التي كانت بمثابة بوصلته في لحظة تاريخية، كان فيها الفن الحديث في المغرب يتلمس الطريق إلى بداياته.

كان الشرقاوي يرسم لكي يتذكر، غير أنه في الوقت نفسه كان يرسم لكي ينسى؛ يرسم ما يتذكره وينسى ما يرسمه. لقد أقام الشرقاوي ملعبه في المسافة التي تفصل بين ثقافتين: ثقافة المكر وثقافة الإنكار، فكان وفيا لثقافة تمكر لما ينكره.

* كاتب من العراق

سنيا دولوناي رسامة تجريدية بدرجة مصممة أزياء

على ضفاف نهر السين، يحتفي متحف الفن المعاصر –من 17 أكتوبر 2014 إلى 22 فبراير 2015 – بمعرض استعادي باريسي يقام لواحدة من أهم روّاد التجريدية هي سنيا دولوناي، وقد جاء في شكل مونوغرافيا ترسم مسيرة الفنانة من فجر القرن العشرين إلى أواخر السبعينات، وتسلط الضوء على نشاطها في الفنون التطبيقية ومكانتها في الحركات الطلائعية الأوروبية ودورها الريادي في التيار التجريدي.

أبو بكر العيادي

❑ **باريس** - هو أضخم معرض يقام لسنيا دولوناي (1885 /1979) في باريس منذ 1967، ويضمّ ما يزيد عن 400 أثر ما بين لوحات زيتية وزخارف جدارية، ولوحات بصبغ، ومطبوعات نافرة أو مقعرة وألوان من الموضة والأنسجة مع صور فوتوغرافية وأشرطة سينمائية تسترجع أنشطة الفنانة ومداخلاتها، معروضة كلها حسب ترتيب زمني.

هذه الفنانة، التي حصلت على الجنسية الفرنسية عام 1908، هي من أصل أوكراني (واسمها الحقيقي سارة إللينيتش اشتيرن)، تبناها خالها وهي طفلة، ولما اشتد عودها هاجرت إلى كارلسروهه بألمانيا، حيث درست فنون الرسم لمدة عامين، ثم انتقلت عام 1905 إلى باريس، حيث انخرطت في أكاديمية لابالية بمونبارناس لتتعلم الحفر والنقش.

هناك التقت بفوغان وفان كوخ وجربت التوحشية، كما تدربت مع بيير بونار وجان إدوار فويّار على كيفية استعمال الألوان الموحدة ذات الدرجة الخالصة، لرسم وجوه معبّرة منفصلة في الغالب عن أرضية مزينة. وفي عام 1910، تزوجت الفنان روبير دولوناي، فاختارا معا التجريدية طريقة في التعبير الفني، وأعلنا عن مولد فن جديد يستند إلى طاقة اللون في ديناميكيته البناءة، أو ما أطلقا عليه اسم "التزامنية" أي البحث عن ألوان خالصة وحركات ألوان متزامنة.

وهي التجربة التي استوحاها من بعدهما رسامون آخرون مثل فرنان ليجيه وغاسبر جونس. وفي هذا تقول سنيا: "تحاببنا في إطار الفن، وتوحّدنا كما يتوحد أزواج آخرون في العقيدة، أو الجريمة، أو تعاطي الكحول، أو الطموح السياسي. شغفنا بالرسم كان رابطنا الأساس". حتى أن صديقهما الشاعر أبولينير قال مرة: "عندما يصحو روبير وسنيا يتحدثان عن الفن التشكيلي".

كان الزوجان متحدين في حياتهما الخاصة والعامة، ملتزمين بالبحث عن سبل تطوير أدواتهما الفنية، والتطلع إلى آفاق جديدة. فبينما كان روبير يسعى إلى تحديد مفهوم التجريد كلغة كونية، كانت سنيا تجرّبه على المحامل المختلفة، كاللوحات واللافتات والملابس وأسفار الكتب والأدوات المنزلية، بل إن شقتهما الباريسية تحولت إلى فضاء للعرض، تزينه الألوان من كل جانب.

ولما فاجأتهما الحرب الكبرى وهما في أسبانيا، قررا تمديد إجازتهما في البرتغال. هناك طورت سنيا نشاطها في مجالي الموضة والمسرح، وسوّقت إنتاجها في مدريد عام 1918، ثم في باريس منذ العشرينات إثر عودتها رفقة زوجها.

العشرية الموالية شهدت ظهور تجريدية مطهّرة هي سمة الأسلوب العالمي، بالتناغم مع الهندسة المعمارية، كما نجد ذلك في الزخارف الجدارية، داخل قصر السكك الحديد خلال المعرض العالمي للفنون، التي دأبت سنيا على عرضها في باريس منذ عام 1937.

وكان لمساهماتها في صالون الحقائق الجديدة الذي أنشأته عام 1946 خصيصا لنشر التجريبية، دور الرابط بين روادها والتابعين الذين ظهروا بعد الحرب، مثلما كان لها دور فاعل في مشاريع الهندسة المعمارية، وحضور لافت في رواق دنيز رنيه.

في تلك الفترة عرف فن دولوناي تحولا بلغ أوجه في الستينات في شكل فن تجريدي شاعري، فقد كان الخلق عندها في وجهيه الشكلي والتقني ينعكس في أعمال كالرسوم الجدارية والفسيفساء والسجاد، وتجسيد أشعار رامبو ومالارميه وسندرار وتريستان تزارا وفيليب سوبو، قبل أن ينتقل في مرحلته المتأخرة إلى ألبومات صور محفورة.

كانت حياتها متسمة بزخم الإنتاج وكثرة الحضور في المعارض والأروقة العالمية، مثل الرواق القومي بكندا، مؤسسة غولبنكيان بلشبونة، ومتحف الفن المعاصر بباريس ومتحف اللوفر ومتحف الفنون الجميلة بليون ومتحف الفن والصناعة بسانت اتيان.

تركت سنيا دولوناي إنتاجا غزيرا يحتوي أيضا على أقمشة مطبوعة، وكتب رسامين، وفساتين فاخرة أشهرها فستان الممثلة الأميركية نانسي كونراد. وقد اختلف النقاد حول إنتاجها النسيجي، فميشيل سوفور الذي يرى أن ذلك المسعى حصرها في دائرة الموضة يقول: "من المؤسف أن سنيا دولوناي، بدل أن تكرس فنها للرسم، شتّتت جهودها وموهبتها طوال أعوام في البحث عن الوسيلة التي تقحم بها أفكارها التزامنية في الموضة".

بخلاف جاك دامباز الذي يعتبر أن "الموتيفات" على الأقمشة التي ابتكرتها سنيا شكلت إضافة جديدة إلى فن الرسم، فهي في رأيه مصدر إلهام لجيل من الرسامين الشبان، أشهرهم الهولندي بييت موندريان. ولكن أغلبهم يحيّون فيها مواظبتها في البحث عن أشكال مستجدة، وسعيها للتوليف بين سائر الأنماط الفنية، وخلق حوار بين الفنون.

ورغم ذلك العطاء الزاخر، كتبت سنيا في يومياتها عام 1978: "لا أستطيع تحديد فني التشكيلي، أنا أرتاب دائما من التصنيف والمنظومات. إذ كيف يمكن تسمية ما نخرجه من أعماقنا بجهد جهيد".

دولوناي يعدها النقاد رائدة الحوار بين الفنون